الفجر، هرع «مالكوس» بحماسة، وكان يعلم أن عليه مرة أخرى أن يردّد بتلجلج الشعيرة التي لا تنتهي، ولكن ما همّ، فاليوم سيكون له صديق يكرّر، في اللحظة ذاتها، وفي القاعة الباردة الجرداء عينها، الحركاتِ نفسَها. وإذ كانا يسيران معاً لدى خروجهما فقد سأله «الصُّورِيّ» برصانةٍ ما إن ابتعدا عن سائر «الإخوة»:

ـ إذا أنا أطلعتك على سرّي فهل تعِدني بألّا تخونني أبداً؟.

وانزعج «ماني» للأمر. وإذا كان قد فهم بيُسر أن «مالكوس» يبحث عن صديق فإنه هو لم يكن كذلك. فلقد نجح بعد هذا العدد من السنين التي قضاها وسط «أصحاب الملابس البيضاء» في إقامة عُزلة، تلك العُزلة العزيزة التي لا تُعوَّض، والتي كان يتدرّع بها وكأنّها درع من الزرد. ومشاطرتها معناها فُقدانها. وكان يحبّ، في كل مرّة يسنح له فيها وقت للدَّعة، أن يعود إلى ملاذه الخفيّ وحيداً من غير رفيقٍ سوى شخصِه. فلماذا يزحم أذنيه بطنينٍ بشريّ؟ وإذ لم يكن راغباً في الاصطدام بالمراهقِ الذي كثيراً ما اعتبره «سيتايي» وعدد من «الإخوة» كبشَ محرقة فقد وجّه إليه طيف ابتسامة رفيقة. إلّا أنه تجاهل أمر إجابته وحثّ الخطى. وفيما كان «الصُّورِيّ» يتشبّث به ويلاحقه من أمامه ومن خلفه متقافزاً من جانب إلى جانب، وهو يقول من غير أن تُنْهِكه جميع التحفّظات أو يُصغيَ إليها:.

ـ عِدني ألّا تشيء بي أبداً!

فقد رفع «ماني» كتفيه هذه المرّة وأطلق بمرحٍ، وبلهجة مَنْ لا يتذكّر قطّ موضوع الحديث:.

ـ أشي بك؟ أوَ سبق أن وشيت يوماً بأحد؟.

وإذ اطمأنّ «مالكوس» في ظاهر الأمر فقد التقط أنفاسه قبل أن يقول دفعة واحدة وكأن الأمر يُعبَّر عنه بكلمة واحدة:.

ـ اني ـ أعرف ـ امرأة.